



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-024-001-014

الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين وتأثيراتها على المجتمع الأهلي في الجزائر (1830-1962)

Mixed marriages between indigenous and European settlers and their impact on the indigenous society in Algeria (1830– 1962)

ط. د/ بغداد شاشي *

جامعة لمين دباغين-سطيف2/ الجزائر

مخبر المجتمع الجزائري المعاصر جامعة لمين دباغين-سطيف2

ba.chachi@univ-setif2.dz

أ. د/ سفيان لوصيف

جامعة لمين دباغين-سطيف2/ الجزائر

s.loucif@univ-setif2.dz

تاريخ القبول: 2025/04/15

تاريخ الإرسال: 2025/02/01

الملخص:

تعد ظاهرة الزيجات المختلطة في الجزائر بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين من المسائل الحساسة التي تأثرت بالعديد من الاعتبارات الاجتماعية والسياسية والثقافية، في ظل فرض السلطات الاستعمارية سياسة الفصل والتفريق بين المجتمعين، حيث عكست هذه الظاهرة تفاوتًا اقتصاديًا وثقافيًا بين المستعمر والمستعمَر، وكان يُنظر إليها على أنها تفاعل اجتماعي غير مرغوب فيه.

تهدف دراستنا العلمية هذه إلى محاولة الكشف على أرقام واحصائيات هذه الظاهرة خلال الفترة الاستعمارية، ومن ثم الوقوف على كل العقبات الاجتماعية والدينية والقانونية

* ط. د بغداد شاشي/ الجزائر



التي حالت دون تحقيق هذه الظاهرة للاندماج الكامل بين الأهالي والمستوطنين، إضافة إلى دراسة كل التأثيرات الاجتماعية لظاهرة الزيجات المختلطة على التركيبة الأسرية للمجتمع الأهلي في الجزائر.

وفي ختام هذه الدراسة خلصنا إلى جملة من النتائج التي ترتبت عن هذه الظاهرة وانعكاساتها على مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية للأهالي في الجزائر. الكلمات المفتاحية: الزيجات المختلطة؛ المستوطنون؛ الأهالي؛ المجتمع؛ الجزائر.

Abstract:

The phenomenon of mixed marriages in Algeria between the indigenous and European settlers represents a sensitive issue influenced by various social, political, and cultural considerations, especially under the colonial authorities' policy of segregation and division between the two communities. This phenomenon reflected the economic and cultural disparities between the colonizer and the colonized and was often regarded as an undesirable form of social interaction.

This scientific study aims to examine the statistics and figures surrounding this phenomenon during the colonial period and to identify the social, religious, and legal obstacles that hindered the achievement of full integration between the indigenous population and settlers. Additionally, the study investigates the social impacts of mixed marriages on the family structure within the indigenous community in Algeria.

In conclusion, this study presents a set of findings regarding the consequences of this phenomenon and its implications for the social and cultural aspects of both indigenous in Algeria.

Keywords: Mixed marriages; settlers; indigenous; society; Algeria

- مقدمة:

شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية تفاعلات اجتماعية معقدة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين، في ظل فرض السلطات الاستعمارية سياسة الفصل والتفريق بين المجتمعين، كان الزواج المختلط بينها ظاهرة نادرة ومحفوفة بالتحديات، ومثل



نقطة تداخل حساسة بين الاعتبارات القانونية، والاجتماعية، والسياسية، وعكست مدى رفض أو قبول فكرة الاندماج والتعايش، حيث ظلت هناك تباينات ثقافية ودينية كبيرة، جعلت الزواج المختلط غالباً ما يُنظر إليه على أنه تفاعل اجتماعي غير مرغوب فيه.

تأتي دراستنا العلمية هذه إلى مُحاولَةً الكشف على أرقام وإحصائيات هذه الظاهرة خلال الفترة الاستعمارية، ومن ثم الوقوف على كل العقبات الاجتماعية والدينية والقانونية التي حالت دون تحقيق هذه الظاهرة للاندماج الكامل بين الأهالي والمستوطنين، إضافة إلى دراسة كل التأثيرات الاجتماعية لظاهرة الزيجات المختلطة على التركيبة الأسرية للمجتمعين الأهلي في الجزائر.

ومن هنا يمكن أن نطرح التساؤلات التالية: ما مدى تأثير ظاهرة الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين على التركيبة الأسرية للمجتمع الأهلي في الجزائر؟، وماهي الفئات الاجتماعية الأكثر انخراطاً في هذه الزيجات؟، وماهي العقبات التي حالت دون تحقيق هذه الظاهرة للاندماج الاجتماعي الكامل بين الأهالي والمستوطنين؟

ومن المهم أن نشير إلى أن هذا الموضوع من الدراسات السوسيولوجية والديموغرافية كان ولا زال يثير الاهتمام، لأنه يوفر لمحة عن كيفية تأثير الهويات الثقافية والسياسية على العلاقات الشخصية وكذلك كيفية تأثيرها على تكوين المجتمعات المختلطة، ومع ذلك فإن الخوض في دراسة هذه الظاهرة بشكل أعمق قد يكون مثيراً للاهتمام ويكشف لنا عن جوانب اجتماعية وثقافية تستحق الدراسة.

فالدراسات المتناولة لظاهرة الزيجات المختلطة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية قليلة جداً، فلم تسبق دراسة لهذا الموضوع بنفس العنوان ولا المنهجية على حد اطلاعي، عدا بعض الدراسات الأجنبية والمحلية التي تناولته في مجالات محددة أو بشكل عام، والتي أدرجتها كمراجع في دراستي وأهمها: دراسة الباحثة الفرنسية كلودين روبير غويارد (Claudine Robert-Guiard) بعنوان (Des Européennes en situation coloniale) 1830-1939 (Algérie)، والباحثة الجزائرية يحيىاوي مرابط مسعودة بدراستها (المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين حقائق وايدولوجيات وأساطير ونمطيات).



لقد تطلبت هذه الدراسة الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي في استعراض ووصف لمختلف التأثيرات الاجتماعية لظاهرة الزيجات المختلطة، إضافة إلى اعتماد المنهج الإحصائي والرياضي في عملية تحليل الأرقام الإحصائية، وتتبع الظاهرة الاجتماعية وفهمها.

1-الإطار التاريخي والاجتماعي للزيجات المختلطة في الجزائر:

الزواج المختلط رغم مشاكله وخطورته المستقبلية على الأسرة، إلا أننا نجد أن الفرد ينساق إليه بدوافع عدة منها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي واجتماعي، كما أن الأديان نظرت إليه نظرة فيها كثير من الحذر والاحتياط، فهناك من الشرائع من أباحتها وفق أحكام وحدود لا يجوز مخالفتها وهناك من حرمتها قطعاً، حيث تُجيز الشريعة الإسلامية زواج المسلم من امرأة يهودية أو مسيحية بينما تُلزم المرأة المسلمة بالزواج وفقاً للشريعة الإسلامية ومن رجل يشاركها العقيدة نفسها.

إن الزواج المختلط ظاهرة عالمية انساق الإنسان إليها بحكم الطبيعة ومقتضيات الحياة بالرغم من وجود بعد ثقافي وديني وغياب ماضي مشترك في غالب الأحيان بين الزوجين، كما تحظى الزيجات المختلطة بأهمية كبيرة لدى المهتمين بدراسة اندماج عناصر اجتماعية وعرقية ودينية مختلفة، وما يترتب على ذلك من نشوء جيل جديد يحمل خصائص هذه التداخلات.

كما وردت تعريفات مختلفة للزواج المختلط من طرف رجال القانون ومختصين في علم الاجتماع، بأنه الاتحاد الذي يعقد بين طرفين مختلفين في الثقافة والجنسية والديانة، كما أن هناك من عرفه بأنه عقد يربط أحد الزوجين بالآخر برباط قانوني واجتماعي، وإذا تم بين الزوجين مختلفي الجنسية سمي بالزواج المختلط، وهناك من عرفه أيضاً أنه الزواج الذي ينتمي فيه كل طرف من أطرافه إلى جنسية مختلفة، وعرف بوسكي (Bousquet). الزواج المختلط على كل علاقة سواء كانت رسمية أو غير رسمية، يكون فيها أحد الشريكين مسلماً (273 : Henri Bousquet, 1943).

وإذا ما تمعنا في هذه التعريفات من الناحية التاريخية نجد أنها تشترك في نظرتها للزواج المختلط على أنه يقوم على الاختلاف في الدين، فمن المعروف دون الحاجة إلى إجراء دراسات ميدانية أن مثل هذه الزيجات المختلطة نادرة للغاية في المجتمع الجزائري مقارنة بما يحدث في أماكن أخرى من العالم، وعدم الاهتمام بظاهرة الزيجات المختلط بين الأهالي



والمستوطنين الأوروبيين، يفسره قلة عدد هذه الزيجات وصعوبة جمع المعلومات الإحصائية عنها، إذ كان المستوطنون الأوروبيون والأهالي موضوعًا لتعدادات سكانية منفصلة (Claudine Robert, 2009: 132).

2- إحصائيات الزواج المختلط في الجزائر:

شهدت مكاتب الحالة المدنية في الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ارتفاعا ملحوظا في عقود الزواج بين الأعراق الأوروبية، مع ندرة في حالات الزواج المختلط سواء بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين أو بين الأهالي واليهود، وهذا ما أشار إليه الدكتور ريكوريني (Ricoux René) بقوله: "إن الاندماج بين الأعراق الأوروبية والأهالي لا يزال بعيداً عن التحقق" (Ricoux René, 1880: 91).

وخلال الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى 1877 تم تسجيل 45 ألف حالة زواج في الجزائر، منها 6881 حالة زواج بين المستوطنين الأوروبيين، و30 حالة زواج مختلط بين المسلمين واليهود، و120 حالة زواج بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي المسلمين (Ricoux René, 1880: 91-92).

ومن بين حالات الزواج المختلط بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين سجلت 53 حالة بين الفرنسيين والأهالي المسلمين، منها 32 حالة زواج جمعت بين امرأة فرنسية ورجل مسلم، مقابل 21 حالة زواج بين امرأة مسلمة ورجل فرنسي (Ricoux René, 1880: 92).

الأوروبيين كما سُجلت خلال هذه الفترة 67 حالة زواج بين الأهالي والمستوطنين من غير الفرنسيين، منها 32 حالة زواج جمعت بين امرأة أوروبية ورجل مسلم، مقابل 35 حالة زواج بين امرأة مسلمة ورجل أوروبي (Ricoux René, 1880: 91).

كما علل ديمونتاس (Demontès) هذه الأرقام بأن النساء الفرنسيات كن أكثر ميلاً إلى هذه الزيجات المختلطة مقارنة بالرجال، أما بالنسبة للمستوطنين الأوروبيين غير الفرنسيين فقد كان الرجال أكثر إقداماً على الزواج من المسلمات مقارنة بالنساء الأجنيات اللاتي تزوجن من مسلمين. (Démontés Victor, 1906: 215).

والجدول التالي يوضح عدد الزيجات المختلطة بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي المسلمين من سنة 1830 إلى 1877 (Ricoux René, 1880: 91):



الشكل 01: الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين من 1830 إلى 1877

الزواج المختلط بين الأهالي المسلمين والأوروبيين		الزواج المختلط بين الأهالي المسلمين والفرنسيين	
67		53	
رجل مسلم وامرأة أوروبية	رجل أوروبي وامرأة مسلمة	رجل مسلم وامرأة فرنسية	رجل فرنسي وامرأة مسلمة
32	35	32	21

Ricoux René, (1880), Démographie Figurée de l'Algérie, p.91.

كما سجلت الفترة الممتدة من 1873 إلى 1884 حسب الإحصائيات التي قدمتها الحكومة العامة في الجزائر 146 حالة زواج مختلط بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي المسلمين، والجدول التالي يبين ذلك (Gouvernement générale civil de l'Algérie, 1884):

الشكل 02: حالات الزواج بين الأهالي والمستوطنين من 1873 إلى 1884

السنة	الزواج المختلط بين الأهالي والمستوطنين	الزواج المختلط بين الأهالي والفرنسيين	الزواج المختلط بين الأهالي والأوروبيين
1873	02	02	02
1874	03	03	03
1875	04	04	04
1876	05	05	05
1877	06	06	06
1878	07	07	07
1879	08	08	08
1880	09	09	09
1881	10	10	10
1882	11	11	11
1883	12	12	12
1884	13	13	13
1885	14	14	14
1886	15	15	15
1887	16	16	16
1888	17	17	17
1889	18	18	18
1890	19	19	19
1891	20	20	20
1892	21	21	21
1893	22	22	22
1894	23	23	23
1895	24	24	24
1896	25	25	25
1897	26	26	26
1898	27	27	27
1899	28	28	28
1900	29	29	29
1901	30	30	30
1902	31	31	31
1903	32	32	32
1904	33	33	33
1905	34	34	34
1906	35	35	35
1907	36	36	36
1908	37	37	37
1909	38	38	38
1910	39	39	39
1911	40	40	40
1912	41	41	41
1913	42	42	42
1914	43	43	43
1915	44	44	44
1916	45	45	45
1917	46	46	46
1918	47	47	47
1919	48	48	48
1920	49	49	49
1921	50	50	50
1922	51	51	51
1923	52	52	52
1924	53	53	53
1925	54	54	54
1926	55	55	55
1927	56	56	56
1928	57	57	57
1929	58	58	58
1930	59	59	59
1931	60	60	60
1932	61	61	61
1933	62	62	62
1934	63	63	63
1935	64	64	64
1936	65	65	65
1937	66	66	66
1938	67	67	67
1939	68	68	68
1940	69	69	69
1941	70	70	70
1942	71	71	71
1943	72	72	72
1944	73	73	73
1945	74	74	74
1946	75	75	75
1947	76	76	76
1948	77	77	77
1949	78	78	78
1950	79	79	79
1951	80	80	80
1952	81	81	81
1953	82	82	82
1954	83	83	83
1955	84	84	84
1956	85	85	85
1957	86	86	86
1958	87	87	87
1959	88	88	88
1960	89	89	89
1961	90	90	90
1962	91	91	91
1963	92	92	92
1964	93	93	93
1965	94	94	94
1966	95	95	95
1967	96	96	96
1968	97	97	97
1969	98	98	98
1970	99	99	99
1971	100	100	100
1972	101	101	101
1973	102	102	102
1974	103	103	103
1975	104	104	104
1976	105	105	105
1977	106	106	106
1978	107	107	107
1979	108	108	108
1980	109	109	109
1981	110	110	110
1982	111	111	111
1983	112	112	112
1984	113	113	113
1985	114	114	114
1986	115	115	115
1987	116	116	116
1988	117	117	117
1989	118	118	118
1990	119	119	119
1991	120	120	120
1992	121	121	121
1993	122	122	122
1994	123	123	123
1995	124	124	124
1996	125	125	125
1997	126	126	126
1998	127	127	127
1999	128	128	128
2000	129	129	129
2001	130	130	130
2002	131	131	131
2003	132	132	132
2004	133	133	133
2005	134	134	134
2006	135	135	135
2007	136	136	136
2008	137	137	137
2009	138	138	138
2010	139	139	139
2011	140	140	140
2012	141	141	141
2013	142	142	142
2014	143	143	143
2015	144	144	144
2016	145	145	145
2017	146	146	146
2018	147	147	147
2019	148	148	148
2020	149	149	149
2021	150	150	150
2022	151	151	151
2023	152	152	152
2024	153	153	153
2025	154	154	154

G.G.A, (1884) Statistique générale de l'Algérie, p.58.

تشير المعطيات الواردة في الجدول إلى أن اندماج المستوطنين مع الأهالي مستحيل وبعيد المنال ونادرا ما يحدث ذلك، خاصة في ظل الأرقام التي تعكس لنا أن الزواج المختلط بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر خلال الفترة 1884-1873 كان ظاهرة محدودة في ظل ارتفاع الزيجات بين المستوطنين الأوروبيين.

كما أن حالات الزواج المختلط المسجلة في سنوات 1882، 1883، 1884 بالجزائر شهدت تفاوتاً كبيراً ما بين المقاطعات الثلاث الجزائر ووهران وقسنطينة وذلك من خلال الإحصائيات المقدمة من طرف الحكومة العامة في الجزائر، إذ سجلت مدينة الجزائر خلال

هذه الفترة 31 حالة زواج مختلط بين المستوطنين الأوروبيين والاهالي، مقابل 19 حالة زواج مختلط في كل من مدينتي وهران وقسنطينة، وهذا ما يوضحه الجدول التالي (Gouvernement générale civil de l'Algérie, 1884: 57):

الشكل 03: حالات الزواج بين الأهالي والمستوطنين في الجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة سنوات (1882-1883)

السنوات	المقاطعات	أوروبي ومسلمة	مسلم وأوروبية	المجموع
1882	الجزائر	06	11	17
	وهران	00	02	02
	قسنطينة	00	01	01
1883	الجزائر	02	06	08
	وهران	02	00	02
	قسنطينة	03	03	06
1884	الجزائر	02	04	06
	وهران	00	03	03
	قسنطينة	03	02	05
المجموع				50

G.G.A, (1884) Statistique générale de l'Algérie, p.57.

كما أظهرت احصائيات الحكومة العامة في الجزائر خلال سنوات 1894، 1895، 1896، وجود 13 حالة زواج مختلط جمعت بين رجل فرنسي وامرأة مسلمة، مقابل 05 حالات زواج بين رجل أوروبي غير فرنسي وامرأة مسلمة، يبينها الجدول التالي (Gouvernement générale civil de l'Algérie, 1897: 47):

الشكل 04: جنسيات الرجال الأوروبيين المتزوجين بنساء مسلمات

الجنسيات	جمهورية فرنسا	البرتغالي	البريطاني	الاسباني	المجموع
1894	06	..	..	..	06
1895	01	01	01	01	05
1896	05	..	01	..	07

G.G.A, (1897) Statistique générale de l'Algérie, p.47

كما ذكر ديمونتاس (Demontès) وجود أكثر من 250 حالة زواج مختلط خلال فترة 1878 إلى 1903، منها 126 حالة بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة و139 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية، ويبرر تسجيل هذا العدد الكبير من الزيجات المختلطة في هذه الفترة



مقارنة بالفترة السابقة التي امتدت من 1830 إلى 1877، إلى الزيادة العددية للسكان الأوروبيين والأهالي المسلمين في الجزائر (Démontés Victor, 1906: 215) وبالرغم من زيادة عدد السكان الأوروبيين وتسجيل المزيد من الزيجات المختلطة، إلا أن الاندماج العرقي بين الأوروبيين والأهالي لا يزال ضعيفًا جدًا ولم يتحقق بشكل ملموس، فالإحصاءات لعام 1900 تشير في الواقع إلى حالة زواج واحدة فقط من هذا النوع، ولم تتجاوز متوسط أربعة زيجات سنويًا خلال الفترة بين 1891 و1900 (Morand Marcel, 1903: 83-84).

كما أحصى ديمنتاس (Demontès) في الفترة الممتدة من 1905 إلى 1914 وجود 79 حالة زواج مختلط بين رجل مسلم وامرأة أوروبية، منها 28 حالة مع الفرنسيات و51 حالة مع أوروبيات غير الفرنسيات موزعة كالآتي: 18 مع الأسبانيات، 7 مع الإيطاليات، و26 مع باقي الأعراق الأخرى (Claudine Robert, 2009: 133).

وفي ثلاثينيات القرن العشرين تميزت الزيجات المختلطة بين الأهالي المسلمين والمستوطنين بارتفاع ملحوظ، حيث سجل إحصاء 1936 وجود 67 حالة زواج مختلط وهو ما يعادل 01% من إجمالي الزيجات الأوروبية المسجلة في السنة، منها 43 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية و24 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة.

وفي سنة 1938 تم إحصاء 88 حالة زواج وهو ما يعادل 1,3% من إجمالي الزيجات المسجلة في نفس السنة، منها 54 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية و34 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة، لكن مع ذلك تبقى هذه الأرقام ضعيفة مقارنة بعدد السكان الأوروبيين الذي بلغ حوالي 900 ألف نسمة وعدد السكان الأهالي الذي لا يقل عن 5 ملايين نسمة (Claudine Robert, 2009: 132).

وفي دراسة أجراها الدكتور مارشان (Marchand) لمدينتي قسنطينة وعنابة من 1932 إلى 1939 تشير إلى وجود 47 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية، مقابل 17 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة (Claudine Robert, 2009: 133).

كما قدم بوسكي (Bousquet) إحصائيات عن الزواج المختلط في السجل المدني الأوروبي بالجزائر ويحمل فيها أحد الزوجين على الأقل اسمًا من أصل مسلم (Henri Bousquet, 1943 : 274):

الشكل 05: عدد حالات الزواج المختلط بين الأهالي والمستوطنين من 1936 إلى 1943

الأهالي	1936	1937	1938	1939	1940	1941	1942	المجموع
زواج أوروبي وامرأة مغربية	9	7	7	18	15	2	3	61
زواج مغربي وامرأة أوروبية	10	15	15	16	22	5	7	90
المجموع	19	22	22	34	37	7	10	151

H. Bousquet, (1943) Les unions mixtes et l'état civil européen,
p.274

ويعود نفس الكاتب بدراسة أخرى في نفس المجلة في عددها 106 الصادر سنة 1962

والذي قدم فيه الإحصائيات التالية (Henri Bousquet, 1962: 190):

الشكل 06: عدد حالات الزواج المختلط بين الأهالي والمستوطنين من 1950 إلى 1960

الأهالي	زواج أوروبي وامرأة مغربية	زواج مغربي وامرأة أوروبية	المجموع
1950	07	10	17
1951	09	13	22
1952	04	13	17
1953	03	04	7
1954	01	04	5
1955	06	11	17
1956	05	14	19
1957	07	08	15
1958	21	07	28
1959	06	03	9
1960	05	02	7
المجموع	74	89	163

G. H. Bousquet, (1962) Les Mariages Mixtes À L'état Civil D'Alger,
p190.

3- الفئات الأوروبية والأهلية الأكثر انخراطاً في الزيجات المختلطة:

من خلال تتبع إحصائيات الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين التي بينهاها سابقا، يتجلى لنا وبوضوح بروز فئات وطبقات اجتماعية كانت أكثر انخراطا في هذه الظاهرة عن غيرها من الفئات والطبقات الاجتماعية الأخرى.

3-1- الرجل المسلم الأكثر انخراطا في الزيجات المختلطة من المرأة المسلمة: تعد الزيجات المختلطة في الجزائر بين رجل مسلم وامرأة أوروبية أكبر من تلك التي بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة، وربما كان من الأسهل على المسلم أن يلتقي بامرأة أوروبية من أن



يلتقي الأوروبي بامرأة مسلمة، علاوة على ذلك بالنسبة للمسلم فإن الزواج من امرأة أوروبية لا يشكل أي مشكلة دينية لأن الأطفال في التقاليد الإسلامية لديهم دين الأب. وفي ثلاثينيات القرن العشرين سجلت هذه الظاهرة ارتفاعا كبيرا مقابل نظيراتها، ففي دراسة أجريت لمدينتي قسنطينة وعنابة من 1932 إلى 1939 تشير إلى وجود 47 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية، مقابل 17 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة (Claudine Robert, 2009: 133)، وفي سنة 1938 تم إحصاء 88 حالة زواج ، منها 54 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية و34 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة (Claudine Robert, 2009: 132)، وفي إحصاء 1936 وجود 67 حالة زواج مختلط ، منها 43 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية و24 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة (Claudine Robert, 2009: 133)، وفي احصائيات الفترة من 1950 إلى 1960 تم تسجيل 161 حالة زواج مختلط ، منها 89 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية و74 حالة زواج بين رجل أوروبي وامرأة مسلمة (Henri Bousquet, 1962 : 190).

2-3-الفرنسيون من النساء والرجال الأكثر مشاركة في الزيجات المختلطة : شاركت النساء الأوروبيات من جميع الجنسيات في هذه الزيجات المختلطة، وفي ثلاثينيات القرن العشرين كانت النساء الفرنسيات بشكل رئيسي هم الأكثر انخراطا في هذه الزيجات، ففي الفترة الممتدة من 1830 إلى 1877 ذكر الدكتور ريكوريني وجود 32 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة فرنسية (Ricoux René, 1880: 91).

كما أظهرت الإحصائيات خلال سنوات 1894، 1895، 1896، وجود 18 حالة زواج مختلط منها 13 حالة زواج جمعت بين رجل فرنسي وامرأة مسلمة (Gouvernement générale civil de l'Algérie, 1897: 47)، ووفقاً لما ذكره ديمنتاس (Démontés) في الفترة الممتدة من 1905 إلى 1914 وجود 28 حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة فرنسية (Claudine Robert, 2009: 133).

3-3- الطبقات الاجتماعية الأكثر انخراطاً في الزواج المختلط : يصعب معرفة البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء الأزواج المختلطون، فقد أشارت كلودين (Claudine) إلى أن معظم حالات الارتباط بين المستوطنين الأوروبيين بالمسلمات الأهليات أو بين المسلمين



والأوروبيات كانت في معظمها حالات ارتباط عاطفي عابرة ولم تكن حالات زواج فرضته التقاليد والأعراف والاختلافات الدينية (Claudine Robert, 2009: 98).

وأشار ديمنتاس (Démontés) إلى أن الارتباط الحر أو العلاقات المحرمة غير الرسمية شهدت انتشارا نسبياً لدى الطبقات الفقيرة والمحرومة في بداية القرن العشرين، مفسراً ذلك إلى توسع المدن واختلاط أحيائها بالأهالي والمستوطنين الأوروبيين، منوها في الوقت نفسه إلى أن هذه العلاقات تدفعها الشهوات والبؤس والفاقة الشديدة. (Démontés Victor, 1906: 216)

وهذا ما أكدته الدكتور مارشاند (Marchand) بقوله: "أن عدد هذه الزيجات المختلطة الحرة بين بين الأهالي المسلمين والمستوطنين الأوروبيين أكبر بكثير من عدد الزيجات المنتظمة" (Marchand Henri, 1954: 254).

وكان من النادر العثور على شهادات زواج تربط امرأة أوروبية برجل مسلم في المدن الكبرى، فحسب عقود الزواج في الجزائر العاصمة في الفترة من 1833 إلى 1845 تم احصاء ثلاثة أزواج مختلطة وفي الحالات الثلاث كان الارتباط بين رجل فرنسي وامرأة مسلمة، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء الفرنسيين الثلاث أنهم تجاوزوا الثلاثين من العمر وينتمون إلى طبقة المهاجرين الأثرياء، وكذلك تم تسجيل زواج مترجم في مقر الجيش الفرنسي عام 1845، وفي نفس السنة تزوج رجل أعمال فرنسي يبلغ من العمر 36 عامًا من أرملة مسلمة تبلغ من العمر 20 عامًا (Claudine Robert, 2009: 134).

وكان أول زواج فرنسي إسلامي تم الاحتفال به في الجزائر العاصمة في نوفمبر 1841 هو زواج ابنة قائد الإنكشارية السابق للجزائر العاصمة البالغة من العمر 19 عامًا مع أمين مكتبة الجزائر وفارس وسام جوقة الشرف وعضو مراسل في المعهد والجمعية العلمية الجزائرية، والذي كان عمره 40 عامًا. (Baroli Marc, 1967: 227).

وفي سوق أهراس نجد أيضًا سنة 1861 وثيقة زواج امرأة أوروبية من رجل مسلم قادمة من منطقة اللورين (Lorraine) مع والديها الذين استقروا في موندوفي (Mondovi) بالقرب من عنابة (Bône)، كانت كاترين (Catherine) تبلغ من العمر 24 عامًا وبدون مهنة عندما تزوجت من محمد بن الحاج مصطفى بن كريم مالك سوق أهراس عام 1861 وكان عمره 35 عامًا (Claudine Robert, 2009: 134).



وحتى فكرة الزواج بين امرأة فرنسية برجل عربي بالنسبة للحاكم العام الفرنسي كانت أمراً غير وارد، وما قام به دوغيدون (de Gueydon) عندما منع زواج أورلي بيكار (Aurélie Picard) من الشيخ أحمد عمار التيجاني لولا تدخل الكاردينال لافيغري (Cardinal Lavigerie) الذي يُعتبر أكثر دهاءً بإصفائه الطابع الرسمي على زواجهما من شيخ الطريقة التيجانية، وحتى بعد وفاة زوجها تزوجت من شقيقه الشيخ البشير التيجاني وخليفته، ورفضت بدافع من الكبرياء الزواج المدني الذي اقترح عليها من طرف الإدارة الاستعمارية (Liauzu Claude, 2000: 264).

وفي زيارته لمدينة مازونة (Mazona) ذكر هاينريش فون مالتسان (Heinrich von Maltzan) الرحالة الألماني أنه التقى ضابطاً فرنسياً يدعى لوقا (Louga) متزوج من امرأة عربية هي ابنة شيخ المنطقة عمرها لا يتجاوز 13 سنة، ومشيراً إلى أن زواج هذا الضابط من فتاة عربية كان له دور كبير في إلمامه باللغة والعادات والتقاليد العربية، وهذا شيء نادر جداً عند الضباط الفرنسيين (هاينريش مالتسان، 1976: 237-238).

وأضاف قائلاً: "لقد أكرمني الضابط لوقا على الطريقة الفرنسية تماماً، وذلك على الرغم من أن زوجته عربية، فأتاح لي أن أريح ليلاً أعضائي المتعبة في فراش أوروبي حقيقي" (هاينريش مالتسان، 1976: 238-239)، في إشارة منه إلى أن الضابط الفرنسي استطاع غرس أسلوب الحياة الأوروبية لدى زوجته العربية.

وكما يبدو من الأمثلة المقدمة يتبين لنا على الأقل بالنسبة للأزواج الأوروبيين أنهم ينتمون إلى الطبقة البرجوازية، ومن المحتمل أيضاً أن النساء الأوروبيات الأوائل اللاتي تزوجن من الأهالي المسلمين لم يكن ليخترن الأكثر فقراً.

وفي بدايات القرن العشرين شهدت هذه الزيجات تنوعاً على المستوى الاجتماعي، فكان الاتجاه العام للزيجات يتم في الطبقات الدنيا، بينما تكون الطبقات الوسطى بالكاد ممثلة إلا في بعض الاستثناءات التي ذكرها بوسكي (Bousquet) ومنها بتاريخ 5 مارس 1940 زواج طبيب أسنان يحمل اسماً قبائلياً يبلغ من العمر 58 عاماً من فرنسية تسمى ماري (Marie) عمرها 47 عاماً، وزواج آخر بتاريخ 1 يناير 1941 بين كيميائي سويسري اسمه ادوارد (Edouard) يبلغ من العمر 16 عاماً و (زهراء بو...) عمرها 38 عاماً ابنة (ماحي بو...).



إذا كانت النساء سواء كن مسلمات أو أوروبيات غالبًا ما يفتقرن إلى مهن، إلا أنهن يعملن أيضًا كممرضات، ربات منازل، خادمات، طاهيات، كاتبات، ...الخ. والجدول التالي يبين بعض المهن التي كان الأزواج يمارسونها (Henri Bousquet, 1943: 277):

الشكل 05: مهن الأزواج المختلطة من الأهالي والمستوطنين الأوروبيين

الأزواج المختلطة	الأزواج الممتزجة
مزارعين، رعاة، أهالي تربية، صيادين، لاجئين، واثقون،	مزارعين، رعاة، أهالي تربية، صيادين، لاجئين، واثقون،
معلمين، رعاة، أهالي تربية، صيادين، لاجئين، واثقون،	معلمين، رعاة، أهالي تربية، صيادين، لاجئين، واثقون،
معلمين، رعاة، أهالي تربية، صيادين، لاجئين، واثقون،	معلمين، رعاة، أهالي تربية، صيادين، لاجئين، واثقون،

G. H. Bousquet, (1943) Les unions mixtes et l'état civil européen, p277.

قد يفسر هذا أيضًا ربما لماذا على الرغم من استبعاد الزيجات بين القبائليين والمسيحيين العرب، لا يزال هناك نسبة أعلى قليلاً من الزيجات المختلطة في مدينة الحراش (Maison-Carrée)، وهذا لأن نسبة الطبقات التي تتم فيها هذه الزيجات أكبر بكثير هناك مقارنة بالجزائر. وهي مدينة أكثر بورجوازية (Henri Bousquet, 1943: 278).

كما أن المستوى الاجتماعي للزوجين ربما يكون قد ارتفع قليلاً مقارنة بما كان عليه قبل عشرين عامًا بشكل متوسط، فعلى سبيل المثال يعتبر الزواج الأكثر تميزًا هو زواج أستاذ محاضر في كلية الحقوق بالسوربون مع طالبة، وتم عقد الزواج في سجلات الحالة المدنية بالجزائر ولكن لو تم عقد الزواج في باريس لكان قد بقي مجهولاً (Henri Bousquet, 1962: 191).

أما المهن التي يمارسها الرجال الأوروبيون فنجد الحرفيون، الموظفون، العسكريون، الصحفيون، السائقون، الموظفون الصغار، نادلوا المقاهي، ويوجد أيضًا أستاذ في مدرسة ثانوية أما بالنسبة للرجال المسلمين فإن المستوى يبدو هنا أعلى قليلاً فهناك أستاذ في مدرسة ثانوية (تزوج من ابنة عائلة من المستوطنين)، ومدير مزرعة، وحتى النساء هناك عدد كبير منهن يمارسن مهناً أكثر ارتفاعاً مقارنة بما كن عليه في الماضي، فعلى سبيل المثال من الإحصائيات المسجلة كان هناك العديد من السكرتيرات، وكذلك ممرضة واحدة أو أكثر، رسامة، قابلة وطالبة (Henri Bousquet, 1962 : 191).



4- العقبات التي جعلت الزواج المختلط نادرا :

وحتى القلائل المؤيدين للتقارب بين الأهالي والمستوطنين كانوا يخشون أن تكون المرأة الأوروبية ضحية لهذه الزيجات المختلطة وهذا ما عبر عنه الطبيب هياسينت كابرول (Cabrol Hyacinthe) في سنة 1863 بقوله: "إنه يؤيد الزواج المختلط مع العرب، ولكن بشكل خاص بين الأوروبيين والنساء المسلمات، أما بالنسبة للمسلمين من الرجال فيجب أن يكونوا صغارًا في السن وقد نشأوا على المبادئ والتعليم الفرنسي لفترة طويلة" (Cabrol Hyacinthe, 1865: 34).

ويضيف الطبيب الفرنسي كابرول: "أنه ينبغي أن يتم التركيز في عملية تكوين الشباب من الأهالي على تنمية القدرات الجسدية والعقلية والأخلاقية، والسعي إلى إيجاد وسائل لجذبهم في سن مبكرة إلى صفوفنا، لتنشئهم وفقًا لعادات ومبادئ أمتنا" (Cabrol Hyacinthe, 1865: 34).

ويرى الطبيب الفرنسي كابرول أن الزواج المختلط بينا الأوروبيين والمسلمين في الجزائر هو من المهام النبيلة التي يجب على فرنسا أن تضطلع بها وتواصلها دون كلل حتى تحقق النجاح الكامل في دمج الأهالي في الحضارة الفرنسية: (Cabrol Hyacinthe, 1865: 34).

وتشير ماري بوجيجا (Marie Bugéja) إلى صعوبة هذه الزيجات المختلطة بين المسلمين والأوروبيين وتحذيرها من تأثيرات هذه الظاهرة على الحياة الاجتماعية للمستوطنين الأوروبيين والأهالي في الجزائر بقولها: "أنه يمكن للمرأة الفرنسية أو الأوروبية أن تستخدم نفوذها الشخصي لتعديل البيئة التي تعيش فيها، لكن ذلك سيكون صراعًا مستمرًا سيجعل العيش معًا لا يطاق" (Bugeja Marie, 1921: 190).

1-4- الفوارق الاجتماعية بين مجتمع الأهالي والمستوطنين في الجزائر : كانت الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين مُدانة اجتماعيًا وتواجه العديد من العقبات والحواجز منذ السنوات الأولى للاحتلال، فقد ساهمت الظروف التي كان سائدة آنذاك في ظل نظام استعماري قائم على مجتمعين متناقضين، في تشكيل حاجز أمام كل محاولات التقارب، فنجد مدنا للأهالي ومدنا للمستوطنين ونجد كذلك مدارس للأهالي ومدارس للمستوطنين.



هذا العالم المقسّم الذي يقطنه نوعان مختلفان يطبعه نظام استعماري خاص ويتّسم بالفروق الاقتصادية والاجتماعية، والتفاوت الكبير في طراز المعيشة التي لا يمكن أبداً أن لا تنعكس على الوقائع الانسانية (فانون فرانز، 1984: 42).

والمشهد الاجتماعي في مدينة القليعة (Koléa) يعكس فصلاً واضحاً من الفوارق بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي، حيث يتعايشان دون اختلاط، مثل الزيت والماء في إناء واحد، فالزيجات بين المسلمين والأوروبيين في بلدية القليعة سجلت حالتيّ زواج فقط بين رجل فرنسي وامرأة مسلمة، وثلاث حالات زواج بين رجل مسلم وامرأة أوروبية، كانت جنسية اثنتين منهن فرنسية والأخرى سويسرية. (Naylies Charles, 1900: 7)

وحثّ المدرسة في التعليم الابتدائي التي تُعدّ المستوى الوحيد الذي يمكن أن يوجد فيه الاختلاط بين الذكور والاناث في كثير من الأحيان، إلا أن الفصول الدراسية لم تكن كذلك، ولم تكن سوى أقلية من تلاميذ الأهالي تلتحق بالفصول المخصّصة للمستوطنين الأوروبيين، إذ كان معظمهم يدرسون في فصول خاصّة أو مدارس للسكان الأصليين (Claudine Robert, 2009: 115).

أما بالنسبة للبنات المسلمات، فكان عددهن في المدارس مع الأوروبيات قبل الحرب العالمية الثانية ضئيل للغاية، وهذا ما أشارت إليه مونتيرو (Montero) في مذكراتها بقولها: "أنه لا توجد بنات مسلمات على مقاعد مدارسنا فعند بلوغهن سن السابعة أو الثامنة كنّ يُعزّلن في باحة صغيرة من القصب لمساعدة أمهاتهن" (Claudine Robert, 2009: 115).

ويظهر التباين والتفاوت الذي كان يميّز المجتمعين من خلال مجتمع الرفاهية بأحيائه وشوارعه النظيفة ورجاله المستوطنين الذين يعيشون حياة الرغد والبذخ، وغير بعيد منه مجتمع البؤس والشقاء بأحيائه القصديرية وأهله المعرضين للأمراض الفتّاكة والفقير المدقع (فانون فرانز، 1984: 7)، فثمة حاجز نفسيّ منيع يفصل بينهما ويبرر تلك الأرقام الضعيفة لظاهرة الزيجات المختلطة.

2-4- الخلفية الأيديولوجية للعنصرية الاستعمارية في المجتمع الأوروبي: تعدّ العنصرية الاستعمارية من بين أهم معيقات اختلاط المجتمعين الأهلي والاستيطاني في الجزائر، فالعلاقة بينهما لم تكن متساوية بأيّ شكل من الأشكال، فالعنصرية كانت هي



محور هذا النّظام الاستعماري وتفوّق المستوطنين الأوروبيين هو من المسلّمات الّتي لا يمكن مناقشتها، معتقدين بأنّهم خلّقوا سادة وغيرهم من البشر ما هم سوى عبيد بالنسبة لهم، فالشعور بالتفوق الذي كان لدى غالبية الأوروبيين تجاه السكان المسلمين هو العامل الرئيسي عن التعداد القليل من الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين خلال 132 سنة من الوجود الفرنسي في الجزائر (غولدزيفر أني راي، 2012).

وفي أثناء زيارته للجزائر ذكر غاستينو (Gastineau) في كتابه النساء والأعراف في الجزائر (Les femmes et les mœurs de l'Algérie) سنة 1861 أن المجتمعات الأفريقية لا ترحم العلاقات الغرامية بين العرق والعرق الآخر، مشيرا لحادثة وقعت في وهران خلال إحدى الاحتفالات الليلية، حيث اضطرت سيدة إسبانية تم ضبطها تحت أشجار البرتقال وهي في حديث حميم مع أحد أعيان قبيلة آل هاشم إلى مغادرة المدينة بسبب حجم الفضيحة الكبيرة التي أثّرت حولها (13: Gastineau Benjamin, 1861).

وحتىّ بعد مرور قرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر لم تتغير الذهنيات والنّظرة العنصريّة للمستوطنين الأوروبيين فقد انغمسوا في خضمّ العنصرية الّتي انتهجها آباؤهم وتشبّعوا بمبادئها تُجاه الأهالي المسلمين (عبّاس فرحات، 2005: 25).

وحتى الزيجات الأولى المختلطة كانوا موضوعا للإهانة والاستهزاء وتم إدراجهم في القائمة السوداء ورفضهم حتى من كلا المجموعتين، وهذا ما أعربت عنه ماري كاردينال (Marie Cardinal) إحدى المستوطنات الأوروبيات في الجزائر بقولها: "لم أسمع قط عن امرأة مسيحية فرنسية من الجزائر تزوجت من رجل فرنسي مسلم من الجزائر"، وتضيف قائلة: "كان الحظر مطلقا لدرجة أنه لا فائدة من التعبير عنه، أما العلاقة بين المرأة المسلمة والرجل الأوروبي فلا يمكن تصورها" (32: Cardinal Marie, 1988).

فمنذ ولادتهم ينشأ أطفال المستوطنين الأوروبيين على اعتقاد راسخ بأنّهم خلّقوا سادة وغيرهم من البشر ما هم سوى عبيد وأنهم هم ذوو الحق المطلق الإلهي، أما الأهالي فهم أقلّ مستوى من البشر، فكيف يمكنهم أن يفكروا حتى في الارتباط بهم.

وتذكر كلودين (Claudine) رواية امرأة فرنسية في الجزائر بينما هي تتجول بمفردها بالقرب من ملكية عائلتها، اقتربت منها امرأة من الأهالي وسلمتها رسالة تحتوي على عرض زواج من شقيقها، فلم يكن أمام المعنية سوى أن تردّ برد فعل عنيف مليء بالسخط



والخوف مخاطبة إياها بهذه العبارات: "لا تخبريني المزيد، يا لها من فظاعة، يا له من رعب ارحلي... ارحلي ولا تعودى أبداً" (Claudine Robert, 2009: 118).

3-4- الاختلافات في الدين والثقافة وتأثيرها على الزواج المختلط: لعب الجانب الديني دورا مهما في التقليص من عدد الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين، رغم أن الشريعة الإسلامية لا تعارض زواج الرجل المسلم بأهل الكتاب إلا أن التحفظ كان السمة الأبرز بين الأهالي، إذ كان من الصعب جدا عقد علاقات صداقة متبادلة بين الشعبين في العقود الأولى للاحتلال.

يعتبر الزواج المختلط عائقا من الجانب الديني بالمعنى الدقيق عندما يتعلق الأمر بالأطفال المولودين من هذه الزيجات، فبالنسبة للمسلمين دين الأب مفروض على الأبناء، ولم يكن زواج المسلم بامرأة مسيحية أو يهودية مشكلة في نظر الشريعة الإسلامية. أما بالنسبة للمرأة المسلمة التي تتزوج من أوروبي أو يهودي كان الأمر مختلفا تماما، لأن أطفالها يخاطرون بالتربية في دين غريب عن الدين الإسلامي، ولذلك كانت الأسر المسلمة تعارض زواج بناتها من غير المسلم، وحتى المسيحيون أو اليهود لم يكونوا أكثر قبولا لزواج بناتهم مع رجل من دين آخر غير دينهم (Claudine, 2009, p. 116).

كما أن معظم المستوطنين الأوروبيين في الجزائر يعتقدون أن هذه الزيجات بسبب الاختلافات في الدين والعادات لا يمكن أن يكون مصيرها إلا الفشل، وحسب ديمونتاس (Démontés) أن هذا الوعي بهذا الفشل هو الذي كان من الأسباب الرئيسية لقلّة عدد الزيجات بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي في الجزائر (Démontés Victor, 1906: 215).

4-4- العقوبات القانونية للزيجات المختلطة في القانون الفرنسي: بالاطلاع على القوانين الفرنسية التي أصدرتها السلطات الاستعمارية، نجد أنه حتى في الحالات القليلة التي ثبت فيها زواج امرأة أوروبية برجل مسلم، كان القانون الفرنسي يعتبر أن التشريعات الإسلامية المرتبطة بالأحوال الشخصية للمسلمين يقف حاجزا أمام وجود فرص التقارب الاجتماعي بين المجتمعين.

كما أن زواج المرأة الأوروبية بالرجل المسلم يجعلها تحتفظ بجنسيتها الفرنسية إلا أنه لا يمنح الجنسية الفرنسية لزوجها المسلم، كما يحرم أولادها من ذلك أيضا بالرغم من



احتفاظها بجنسيتها الأصلية، وهو ما لا تحبذه الإدارة الاستعمارية الفرنسية بفقدان أولاد الزوجة الأوروبية لصالح الأهالي.

وتختلف حقوق الزوجة الأوروبية حسب نظام الزواج المختار، فإذا تم الزواج أمام ضابط في الأحوال المدنية الفرنسي كانت الزوجة تحتفظ بجميع الحقوق الممنوحة بموجب القانون الفرنسي، أما إذا تم الزواج أمام القاضي المسلم فإنه سَتُطَبَّقُ عليها الأحكام الإسلامية (Claudine Robert, 2009: 116)، واعتبارًا من سنة 1871 أوضح الحاكم العام في الجزائر، بناءً على رأي صادر عن وزير العدل، أن الزواج بين رجل مسلم وامرأة فرنسية لا يمكن إتمامه إلا أمام موظف الأحوال المدنية الفرنسي (Meylan Marcel, 1933: 79).

ومع ذلك فحتى وإن أراد المسلم الزواج بالأوروبية أو الفرنسية، فإنه يصطدم بعراقيل اجتماعية وإدارية أقلها التصريح بعدم زواجه من قبل، إذ تنص المادة 165 من القانون المدني الفرنسي ضمناً على أن أي مسلم يتزوج فرنسية أمام ضابط الأحوال المدنية الفرنسي يتعين عليه التنازل عن وضعه الشخصي لصالح الالتزامات المفروضة بموجب القانون الفرنسي، لكن هذا الالتزام كان يقتصر فقط على العلاقة بين الزوج المسلم وزوجته الفرنسية. وبما أن الزواج بين الأهالي المسلمين كان يُعقد أمام القاضي المسلم فهذا يجعل الرجل المسلم المتزوج من امرأة أوروبية يمكنه عقد زواج ثانٍ مع امرأة مسلمة، أما في حالة زواج امرأة مسلمة من رجل فرنسي أو أوروبي فقد كانت العقوبات أقل (Claudine Robert, 2009: 116).

كان من الصعب التحقق مما إذا كان الرجل المسلم الراغب في الزواج من امرأة فرنسية أو أوروبية متزوجاً بالفعل أمام القاضي المسلم، بالرغم من أن قانون 23 مارس 1882 كان يُلزم الزوجين أو الشهود بالإبلاغ عن أي زواج يُعقد أمام القاضي في غضون ثلاثة أيام إلى رئيس البلدية أو المسؤول الإداري، وفي ظل عدم الالتزام دائماً بهذه التعليمات كانت البلديات تظهر درجة كبيرة من اللامبالاة فيما يتعلق بتسجيل الأحوال المدنية للأهالي، واستمر الوضع على حاله إلى غاية سنة 1930 عندما أصبح القضاة الشرعيون ملزمين بإرسال تقارير شهرية إلى رئيس البلدية أو المسؤول الإداري تتضمن عقود الزواج والطلاق أو حالات فسخ الزواج التي يعقدونها (Meylan Marcel, 1933: 78).



ويظهر لنا مما سبق أن التشريعات القانونية التي كانت مطبقة في الجزائر لم يسهل الزيجات المختلطة بين الأهالي المسلمين والمستوطنين الأوروبيين، إضافة إلى التعارض بين القانون الفرنسي والشريعة الإسلامية، لا سيما في المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، وأولوية المحاكم الفرنسية في الفصل في النزاعات، حتى في القضايا التي لها صلة بالقانون الإسلامي، وهو ما يعكس الطابع الاستعماري للنظام القانوني في الجزائر.

4-5- الترويج لفشل الزيجات المختلطة في المشهد الروائي الفرنسي: سعت الرواية الاستعمارية للترويج لفشل الزيجات المختلطة بين المجتمعين الأهلي والاستيطاني في الجزائر مبررة ذلك بمعانيها للواقع وامتزاجه بتمثيلات للمخيلة التي يتعايش فيها الانجذاب والحذر تجاه الغير والرغبة والرفض بين المجتمعين.

تناول العديد من الروائيين الاستعماريين الفرنسيين خاصة في الفترة ما بين الحربين مشكلة الزيجات المختلطة وإشكالية العلاقات الممكنة بين الأهالي والمستوطنين، وأول الحكايات التي عبرت عن فشل الزيجات المختلطة كانت حكاية المياه الباطنية (L'eau souterraine) لبول وفيكتور مارغريت (Paul et Victor Margueritte) في سنة 1903 وحكاية مولاي علي (Moulay Ali) لفان ديلبورغ (Van delbourg) سنة 1906 (يحيوي مسعودة، 2010: 348)، وروجت هذه الروايات إلى أن الزواج المختلط هو ملتقى طرق خطير، وأنه مفتوح على كل الرياح وقابل لكل الصدمات.

فماري بوجيجا (Marie Bugeja) في حكايتها انجذاب شرقي (Séduction orientale) ومارت كلوزيار (Marthe Cleuziere) في بيكو (Un bicot) وراوول ستيفان (Raoul Stephan) في خلوة محمد (La retraite de l'Emmhamed) مثلا، ينطلقون من أحداث حقيقة وحديثة عن ظاهرة الزيجات المختلطة، ومُلفتين انتباه النساء الأوروبيات والفرنسيات بصفة خاصة على الصعوبات الناتجة عن الفروق في الأوساط الاجتماعية بين الأهالي والمستوطنين (يحيوي مسعودة، 2010: 349).

وأبرزت جان فور صاردتي (Jeanne Faure-Sardet) الحاصلة على دبلوم في اللغة العربية سنة 1932 رواية هيليا (Hélia) حيث يُحظر الحب المختلط من قبل المجتمعين (34: 2000, Liauzu Claude)، وأن الأهالي المسلمين عندما يتزوجون النساء الأوروبيات، حسب هذه الرواية تتعرض هيليا الفرنسية للخيانة وللمعاملات السيئة والضرب من طرف



زوجها الأهلي المسلم، وفي رواية أخرى نجد أن هناك امرأة فرنسية تدعى كرمان يهددها أخوها بالموت خنقا دون أن يتركها تعيش في حضن عربي (يحياوي مسعودة، 2010: 354).

فالروايات الفرنسية هي شكل من أشكال التعبير عن الخوف من الجزائريين، ومن بين هذه الأشكال التي تعزز العنصرية وتساهم في حظر الاتصال بين المجتمعين ما تجسّد في رواية وداعاً أمي، وداعاً قلبي "Adieu ma mère, adieu mon cœur" لمؤلفها جول روي "Jules Roy" عندما خاطبته والدته وهي تتحدّث عن العرب قائلة: "إنّهم متوحشون، إنّهم يستمتعون برؤية سفك الدماء هذا كلّ ما يفكرون فيه إنّهم سلاله قذرة" وتضيف قائلة: "إذا كان الله هو الذي خلقهم فعليه أن يتوب فما هم إلا رذيلة وشرّ هكذا وجدناهم، وهكذا بقوا" ثم تضيف: "لقد أخطأنا عندما فتحنا لهم مدارسنا على أمل تعليمهم الحضارة. إنّهم يكرهوننا وسوف يقطعون رقابنا في أقرب وقت ممكن" (Claudine Robert, 2009: 275).

كما يبدو الزواج المختلط بين الأهالي والمستوطنين أمر مناهض للطبيعة حسب مختلف الحكايات، فالروائيتين الفرنسيّتين جسيم القصبة (L'Enfer de la Casbah) لروزاليا بنتامي (Rosalia Bentami) وبنت العربي (Fille d'arabe) لجان فور صاردي (Jeanne Faure-Sardet) تعالجان مشكل أبناء الزواج المختلط كمشكل الختان والاسم والدين الذي ينبغي أن يمنح للأطفال، فيجد الأولاد أنفسهم مشتتون ومجبرون أن يختاروا معسكرهم وجماعتهم عندما يكبرون، وهذا ما بررته ماري بوجيجا في روايتها أخواتنا المسلمات (Nos sœurs musulmanes) بأن السبب الذي يدفع الأهالي المسلمين لمنع زواج المرأة المسلمة بغير المسلم بقولها: "الجماعة المسلمة لا يمكنها أن ترى إرثها يكون لصالح أبناء الكفار" (Bugeja Marie, 1921: 160).

لقد نشأت الفتيات الصغيرات منذ فترة طويلة في خوف من العرب ومن مظهرهم ومن احتمال الاغتصاب، ولم يكن لدى النساء الأوروبيات سوى فرصة ضئيلة جداً للتعرف حقاً على المسلمين، كان المسلم بالنسبة للكثيرين منهم هو العربي الذي يقابلونه في الشارع، والذي يتجنّبون نظراته خوفاً من أن ينظر إليهم (Claudine Robert, 2009: 275).

وفي نظر الروائية الفرنسية ماري بوجيجا أن الزيجات المختلطة ليست هي الحل الأمثل أو السبيل الوحيد للجمع بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين، وأن الإصرار على هكذا أمر سوف يؤدي إلى توسيع الهابوية بين المجتمعين. (Bugeja Marie, 1921: 160)



5- المرأة الأوروبية في الزيجات المختلطة وتأثيراتها على الأسرة الجزائرية :

عملت الإدارة الاستعمارية في الجزائر إلى مسخ الأمة الجزائرية وجعلها فرنسية غربية، من خلال تشجيع مسألة الزواج المختلط، بغية تحقيق مسألة الاندماج الكامل للأهالي في المجتمعات الأوروبية، ولن يتأتى هذا إلا على يد زوجاتهم الأوروبيات. ونجد في مقدمة هاته النساء الأوروبيات اللواتي ساهمن في التغلغل داخل المجتمع الأهلي، الفرنسية أوريلي بيكار (Aurélie Picard) التي أصبحت منذ عام 1871 زوجة أحمد عمار التجاني زعيم الطريقة التيجانية.

ومن كان يمكنه أن يتخيل أن تلك الشابة الفرنسية التي ولدت في 12 جوان 1849 في هوت مارن (Haute-Marne) ابنة الشرطي المتقاعد والتي كانت في البداية خياطة متواضعة سوف تصبح أميرة ملهمة تحظى بتقدير واحترام الجميع وتكنى لالة يمينة، وسيكون لها الفضل في انجاز وإدارة شؤون قصر كوردان (Kourdane) بمعاونة ثمانين خادماً (Thierry de Loppinot, 1979: 5).

قد يكون تأثير المرأة الأوروبية في الزيجات المختلطة على مسألة الاندماج في المجتمعات الأوروبية فحسب، بل قد تستطيع القيام بتغريب زوجها وأولادها، وهو ما كانت تقوم به بعض المبشرات الأوروبيات اللاتي كن حريصات على إنشاء أسر مسيحية في الجزائر، وهذا ما دفع إحداهن للتضحية إلى حد الزواج برجل جزائري من منطقة القبائل (Marion F, 1893: 25).

وحتى دور الأيتام المسيحية ساهمت في تزويج العديد من الفتيات المسلمات اليتيمات برجال أوروبيين مسيحيين بعد أن قمن بتعميدهن باسم مسيحي، ومن أمثلة ذلك ما قامت به جمعية فينسنت دي بول (Vincent de Paul) بتربية فتاة من الأهالي يتيمة الأبوين باسم اميلي سليمان (Émilie Sliman) المولودة سنة 1856 وتزويجها من مستوطن أوروبي من أصل إيطالي يعمل في مزرعة وأنجبت له 06 أولاد كلهم مسيحيون (Claudine Robert, 2009: 116).

وتتسأل ماري بوجيجا عن مصير الأطفال الذين يولدون من رحم هذه الزيجات المختلطة قائلة: "ماذا سيحدث لأطفال هذه الزيجات؟، هل من الممكن أن يكونوا سعداء؟،



أكد سيعيشون حياة مؤلمة سواء كانوا مع أسرهم الأوروبية أو ذهبوا إلى قبيلتهم العربية" (Bugeja Marie, 1921: 163).

وعن خطر التزوج بالأجنبيات على الأسرة في الجزائر وخاصة تربية الأبناء، كتب أحمد رضا حوحو في كتابه "مع حمار الحكيم" بأن المرأة الأوروبية تعمل على صقل أبنائها على التربية الأوروبية القائمة على الانحلال الخلقي والاجتماعي، وقال ساخرا: "زواجي من أتان أجنبية تخالفني في الحس والتفكير والعادات فيه خطورة كبيرة على عاداتي وأخلاقي وتفكيري"، ومشيرا إلى أن الزوجات الأوروبيات سوف تعملن مستقبلا على فرنجة أزواجهن بقوله: "أعرف كثيرا من الرجال الشرقيين تزوجوا من نساء أجنبيات ولم أرى بينهم من استطاع أن يعرب زوجته الغربية وقليلون جدا الذين لم تفرنجهم أزواجهم" (حوحو أحمد، 1982: 48-49).

ويكمن خطر الزيجات المختلطة على الأسر الأهلية في كون أن تلك الزوجة الأوروبية ستصبح أمّا حيث تلد لذلك الرجل المسلم أولادا هي تسميهم بأسماء فرنسية غير عربية، فينشأ هؤلاء الأطفال نشأة فرنسية، وهذا ما عبر عنه محمد السعيد الزاهري عندما وصف حال صديقه الجزائري وأمه الفرنسية بقوله: "كان رفقتنا محام مسلم جزائري اسمه الإسلامي عبد القادر واسمه الفرنسي الذي تدعوه به أمه ألبرت، وكان هو الآخر متفرنسا في كل شيء في عقلته وأدبه وفي أخلاقه وعاداته، وذلك لأنه نشأ نشأة فرنسية محضة" (الزاهري محمد، 1930: 192).

وفي هذا الشأن يصف الشاعر محمد الأمين العمودي وضعية الدكتور سعدان وزوجته الفرنسية في مناداتهما لابنهما، حيث أن الأب المسلم يناديه باسم محمد الصالح، وأمه الفرنسية تدعوه باسم موريس فيقول (بن ذياب أحمد، 1986: 229):

حي الطبيب ولا تنسى قرينته هو سليمان والمدام بليسي

له غلام أطال الله مدته تنازع العرب فيه والفرنسي

لا تعذله إذا ما خان أمته فنصفه صالح والنصف موريس

وهذا ما تؤكد الإحصائيات المسجلة في 06 أشهر الأولى من سنة 1954 والتي تشير إلى أن الأطفال الناتجون عن هذه الزيجات المختلطة يحملون أسماء أحيانا تكون مزدوجة



تمزج بين الطابع الأوروبي والإسلامي، وأحياناً تكون أوروبية بالكامل، ومن أمثلة ذلك حالي زواج مختلط بين رجل مسلم وامرأة مسيحية والتي تخص الطفل رينيه خ (René... Kh) وهو ابن لأب مسلم اسمه (أحمد...) وأم أوروبية (بوليت...) (Paulette...)، والحالة الثانية للطفل (عبد القادر م.) وهو ابن لأب مسلم (محمد م.) وأم أوروبية (تيريزك.) (Thérèse...C) (Henri Bousquet, 1962 : 191).

- خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية حول الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين وتأثيراتها على المجتمع الأهلي في الجزائر توصلنا إلى جملة من النتائج والاستنتاجات نجملها كالآتي:

- ساهمت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ بداية وجودها بالجزائر في فرض سياسة استعمارية خاصة كان لها تأثيرها البالغ في مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعين الأهلي والاستيطاني.

- تعد الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين في الجزائر من الظواهر الاجتماعية النادرة والمحفوفة بالتحديات، والتي مثلت نقطة تداخل حساسة بين الاعتبارات القانونية، والاجتماعية، والسياسية.

- عكست ظاهرة الزواج المختلط تفاوتاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بين المجتمعين، أدت إلى فشل محاولات تحفيز الاندماج الاجتماعي الكامل وبروز طبقات متفاوتة اجتماعياً وعرقياً،

- تعد النساء الفرنسيات الأكثر ميلاً إلى هذه الزيجات المختلطة مقارنة ببقية النساء الأوروبيات، وبالمقابل كان الرجال من الأهالي الأكثر إقداماً على هذه الزيجات من النساء المسلمات من الأهالي بحكم العامل الديني.

- تعد الطبقة البرجوازية هي الطبقة الأكثر مشاركة في الزيجات المختلطة في القرن التاسع عشر ونجد أيضاً أن النساء الأوروبيات الأوائل اللاتي تزوجن من الأهالي المسلمين لم يكن ليخترن الأكثر فقراً.



- ساعد توسع المدن وتطور التعداد السكاني للمجتمعين في اختلاطهما خلال القرن العشرين مما سمح بتسجيل ارتفاع ملحوظ في عدد حالات الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين.

- اعتبرت الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين مُدانةً اجتماعيًا وتواجه العديد من العقبات والحواجز منذ السنوات الأولى للاحتلال، في ظلّ نظام استعماري قائم على مجتمعين متناقضين، شكل حاجزا أمام كل محاولات التقارب.

- تعد العنصرية الاستعمارية من بين أهم معيقات اختلاط المجتمعين الأهلي والاستيطاني في الجزائر، والتي ساهمت في ندرة حالات الزواج المختلط فالعلاقة بينهما لم تكن متساوية بأي شكل من الأشكال،

- التشريعات القانونية التي كانت مطبقة في الجزائر لم تسهّل من ظاهرة الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين، إضافة إلى التعارض بين القانون الفرنسي والشرعية الإسلامية.

- سعت الرواية الاستعمارية للترويج لفشل الزيجات المختلطة بين المجتمعين الأهلي والاستيطاني في الجزائر مبررة ذلك بأنه ملتقى طرق خطير، وأنه مفتوح على كل الرياح وقابل لكل الصدمات.

- ساهمت المرأة الأوروبية في الزيجات المختلطة في التأثير على الحياة الاجتماعية على للأسرة في المجتمع الأهلي من خلال مسؤوليتها على أسرته ضمن المجتمع الأهلي كونها زوجة أو أما، وهذا ما لمسناه في تغريب بعض الأسر الأهلية واختلاط أسماء أبنائها ما بين أسماء عربية وأسماء فرنسية.

- خالصنا في هذه الدراسة إلى العديد من الأرقام الإحصائية حول تعداد حالات الزيجات المختلطة بين الأهالي والمستوطنين الأوروبيين منذ بداية الاحتلال الفرنسي إلى سنواته الأخيرة في الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- بن ذياب أحمد، (1986). «جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين العمودي»، مجلة الثقافة، وزارة الاعلام والاتصال الجزائر، العدد 85، ص.ص. 223-238.
- 2- حوحو أحمد رضا، (1982). مع حمار الحكيم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.



- 3- الزاهري محمد السعيد، (1930). «الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير»، مجلة الحديقة، مصر، المطبعة السلفية ومكتبتها، العدد 8. ص.ص. 192-206.
- 4- عباس فرحات، (2005). ليل الاستعمار، (أبو بكر رحال، المترجمون)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- 5- غولدزيفر آني راي، (2012). جذور حرب الجزائر (1940-1945). (حاج مسعود حاج، ووردة لبنان، الجزائر: دار القصة).
- 6- فانون فرانز، (1984). معذبو الأرض، ط5، (سامي الدروبي، وجمال الآتاسي، المترجمون) لبنان: دار الطليعة.
- 7- مالتسان هاينريش فون، (1976). ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، ج1، ط1، (ابو العيد دودو، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 8- يحيى اوي مسعودة مرابط، (2010). المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين حقائق وايدولوجيات وأساطير ونمطيات، مج2، الجزائر: دار هومة.
- 9- Baroli Marc, (1967). La vie quotidienne des Français en Algérie 1830-1914, Paris : Edité par Hachette.
- 10- Bousquet Georges-Henri, (1943). « Les unions mixtes et l'état civil européen ». Revue Africaine, Vol 87, N° 394-395, p.p.273-287.
- 11- Bousquet Georges-Henri, (1962). « Les Mariages Mixtes À L'état Civil D'Alger ». Revue Africaine, Vol 106, N° 470-471, p.p.190-193.
- 12- Bugeja Marie, (1921). Nos sœurs musulmanes, Paris: la revue des Études littéraires.
- 13- Cabrol Hyacinthe, (1865). De L'Algérie sous le rapport de l'hygiène et de la colonisation. Nice, typographie Eugène Gauthier.
- 14- Cardinal Marie. (1988). Les Pieds-Noirs. Paris : Editions Belfond.
- 15- Claudine Robert-Guiard, (2009). Des Européennes en situation coloniale, Algérie 1830-1939. Paris: Publications de l'Université de Provence.
- 16- Démontés Victor, (1906). Le peuple algérien essais de démographie algérienne. Alger : Imprimerie Algérienne.
- 17- Gastineau Benjamin, (1861). Les femmes et les mœurs de l'Algérie. Paris : librairie de Michel Lévy frères.
- 18- Gouvernement générale civil de l'Algérie, (1884). Statistique générale de l'Algérie, Années 1882 à 1884, Alger : Imprimerie de l'association ouvrière p Fontana et Cie.



- 19- Gouvernement générale civil de l'Algérie, (1897). Statistique générale de l'Algérie, Années 1894 à 1895 à 1896, Alger : imprimeur du Gouvernement générale de L'Algérie.
- 20- Liauzu Claude, (2000). « Guerre des Sabines et tabou du métissage : les mariages mixtes de l'Algérie coloniale à l'immigration en France ». Les cahiers du CEDREF, 8-9.p.p.259-280.
- 21- Marchand Henri, (1954). « Les mariages franco musulmans », revue annales juridiques politiques économiques et sociales (Alger), p.254.
- 22- Marion F, (1893). « Les Missions anglaises en Algérie », La Nouvelle Revue, Gannat Imprimerie F Marion. p.p.5-28.
- 23- Meylan Marcel-Marc, (1933). Les mariages mixtes en Afrique du Nord. thèse pour le doctorat en droit, Université de Paris, Faculté de droit, France.
- 24- Morand Marcel, (1903). la famille musulmane. Alger : Typographie Adolphe Jourdan.
- 25- Naylies Charles, (1900). Monographie de la commune de Koléa (Algérie). France : Nevers G. Vallier imprimeur.
- 26- Ricoux René, (1880). Démographie Figurée de l'Algérie, Etude statistique des populations européennes qui habitent l'Algérie. paris: Libraire de l'académie de médecine.
- 27- Thierry de Loppinot, (1979). « KOURDANE », Le Saharien Revue Editée par la« rahla », N°69, p.p.1-7.

Al-Bibliography :

1. Ben Dhiab Ahmad, (1986). "Jawānib Niḍāliyya min Ḥayāt al-Shahīd Muḥammad al-Amīn al-‘Amūdī", Majallat al-Thaqāfa, Wizārat al-I‘lām wa al-Ittiṣāl al-Jazā’ir, No. 85, pp. 223–238.
2. Hūhū Aḥmad Riḍā, (1982). Ma‘ Ḥimār al-Ḥakīm. Al-Jazā’ir: al-Sharika al-Waṭaniyya li al-Nashr wa al-Tawzī‘.
3. al-Zāhirī Muḥammad al-Sa‘īd, (1930). "al-Islām fī Ḥāja ilā Da‘wa wa Tabshīr", Majallat al-Ḥadīqa, Miṣr, al-Maṭba‘a al-Salafiyya wa Maktabatuhā, No. 8, pp. 192–206.
4. ‘Abbās Farḥāt, (2005). Layl al-Isti‘mār, (Abū Bakr Rahḥāl, trans.). Al-Jazā’ir: al-Mu’assasa al-Waṭaniyya li al-Funūn al-Maṭbū‘iyya.
5. Goldziher Annie Rey, (2012). Judhūr Ḥarb al-Jazā’ir (1940–1945), (Ḥājj Mas‘ūd Ḥājj & Wardat Lubnān, trans.). Al-Jazā’ir: Dār al-Qaṣaba.
6. Fanon Frantz, (1984). Mu‘adhdhabū al-Arḍ, 5th ed., (Sāmī al-Durūbī & Jamāl al-Atāsī, trans.). Lubnān: Dār al-Ṭalī‘a.



7. Maltsan Heinrich von, (1976). Thalāth Sanawāt fī Shimāl Gharb Ifrīqiyyā, Vol. 1, 1st ed., (Abū al-‘Īd Dūdū, trans.). Al-Jazā’ir: al-Sharika al-Waṭaniyya li al-Nashr wa al-Tawzī’.
8. Yaḥyāwī Mas‘ūda Murābiṭ, (2010). Al-Mujtama‘ al-Muslim wa al-Jamā‘āt al-Ūrūbiyya fī Jazā’ir al-Qarn al-‘Ishrīn: Ḥaqā’iq wa Īdiyūlūjiyyāt wa Asāṭīr wa Namaṭiyyāt, Vol. 2. Al-Jazā’ir: Dār Hūma.